

الفصل الأول

شاكاياموني بوذا

حياة بوذا

أقام رجال قبائل شاكيا على طول نهر "روهيني" الذي يتدفق بين سفوح تلال الهيمالايا الجنوبية. كان يدعى ملك قبائل شاكيا "شدهودانا جواتاما". وقد أسس عاصمة مملكتهم في كابيلفستو، ومن قلعته العظيمة أدار شؤون الحكم بحكمة، وكسب بذلك تقدير الناس وإشاداتهم.

أما الملكة فكانت تدعى "مايا" وكانت ابنة عم الملك "شدهودانا جواتاما". وكان عمّه هذا ملكاً هو الآخر على المنطقة المجاورة لنفس القبيلة. لم ينجب الملك "شدهودانا جواتاما" والملكة "مايا" أي أطفال على مدى 20 عاماً. ولكن في ليلة ما راودت الملكة "مايا" حلماً غريباً، حيث رأت فيلاً أبيضاً يدخل إلى رحمها من خلال الجانب الأيمن من صدرها، وأنها أصبحت حبلى.

تطّلع كلاً من الملك وعامة الناس بترقب إلى ولادة ولي العهد. ووفقاً للتقاليد عادت الملكة إلى منزل والديها لتضع وليدها، وفي طريقها إلى هناك تحت أشعة شمس الربيع الجميلة، توقفت لتستريح في حديقة "لومبيني".

شاكاياموني بوذا

محاظة ببراعم الأشوكا من كل اتجاه، مدت الملكة ذراعها اليمنى بسعادة لتقتلع غصناً، وفي هذه اللحظة تحديداً ولد الأمير. أعرب الجميع عن سعادته بعظمة الملكة وأميرها الصغير، وابتهلت الأرض والسماء. وقع هذا اليوم التاريخي في اليوم الثامن من شهر أبريل. كان الملك في سعادة بالغة وسمى المولود "سيدهرثا"، ويعني "ستحقق جميع الأمنيات".

ولكن، سرعان ما تبددت هذه السعادة إلى حزن عميق حيث وافت الملكة الجميلة المنية فجأة. فأصبحت أختها الصغرى "مهباراجابتي" أمماً بالرضاعة للمولود الصغير، وأحاطته بالحب والرعاية.

لاحظ ناسك يدعى "أسيثا" -كان يعيش في الجبال البعيدة -وجود شعاع يحيط بالقلعة والذي فسّره على أنه فال حسن. ذهب هذا الناسك إلى القصر وسُمح له برؤية الطفل. بعدما رآه الناسك تنبأ بالآتي "هذا الأمير، إذا ما بقي في القصر، عندما يشتد عوده سوف يصبح ملكاً عظيماً وسيخضع له العالم بأسره. وإذا ما هجر أمور الدنيا واعتنق طريق التدين، فسوف يصبح بوذا، منقذ العالم".

شعر الملك بالسعادة في البداية عند سماعه هذه النبوءة، ولكن سرعان ما خالجه شعور بالقلق من احتمال أن يترك ابنه الوحيد سدة الحكم ليصبح ناسكاً بلا مأوى.

بدأ الأمير دروسه عن الفنون المدنية والعسكرية في سن السابعة، ولكن أفكاره وتوجهاته دائماً ما كانت تتطرف إلى أشياء أخرى. خرج الأمير بصحبة والده في يوم من أيام الربيع خارج القلعة. كانوا يشاهدون سوياً مزارعاً يحرق أرضه، وعندما لاحظ الأمير هبوط طائر إلى الأرض والتقاطه دودة صغيرة تم دفعها إلى سطح الأرض نتيجة لعملية الحرق الجارية، جلس الأمير تحت شجرة يستظل بظلها ويمعن التفكير فيما قد رآه، ويهمس لنفسه قائلاً: -

"يا للأسف! هل يتوجب على جميع المخلوقات الحية أن تقتل بعضها البعض؟"

تأثر الأمير الذي فقد والدته بعد ولادته بوقت قصير بمعاناة هذه الكائنات الضئيلة بعمق.

تعمق هذا الجرح في روح الأمير بمرور الأيام: وكندب صغير على شجرة فتية، ترسخت في عقله معاناة الإنسان في حياته بعمق أكثر. زاد قلق الملك كلما تذكر نبوءة الناسك مما جعله يحاول بشتى الطرق أن يبعث السعادة في نفس الأمير ليغير من أفكاره ويحولها إلى اتجاه آخر. رتب الملك لزواج الأمير وهو في سن التاسعة عشر بالأميرة "ياشودهارا" ابنة "سوبرابوذا" أمير قلعة "دافيداها" أخو الملكة الراحلة "مايا".

شاكاياموني بوذا

انغمس الأمير لمدة عشرة أعوام في حلقات مستمرة من الموسيقى والرقص والمتعة في سرادق فصول السنة المختلفة. ولكنه دائماً ما كان يعود بذهنه في التمعن في مشكلة المعاناة، من خلال تفكيره الدائم في المعنى الحقيقي لحياة الإنسان.

"حياة القصر المترفة، هذا الجسم اليافع، وهذا الشباب الصاحب! ماذا يعني لي هذا كله؟ فكر أنه يوماً ما من الممكن أن نمرض، يوماً ما سوف نطعن في السن، ليس هناك مفر من الموت. كبرياء الشباب، كبرياء العافية، كبرياء الوجود، على أولئك الذين يمعنون في التفكير أن يلقوا بكل هذا جانباً".

"الرجل الذي يصارع من أجل وجوده، سوف يبحث تلقائياً عن شيء ذي معنى. وهناك طريقتان للبحث، هناك الطريقة الصحيحة والطريقة الخاطئة. إذا اتبع الطريقة الخاطئة سوف يدرك أنه لا يمكن تجنب المرض، أو التقدم في السن، أو الموت، لكنه مع ذلك يسعى إلى النقيض".

"وإذا اتبع الطريقة الصحيحة، فإنه سيدرك الطبيعة الحقيقية للمرض، أو التقدم في السن، أو الموت، وسيبحث عن معنى يتجاوز ويتسامى عن جميع أشكال المعاناة البشرية. يبدو أنني اتبع الطريقة الخاطئة بتبني هذا النمط المترف من الحياة".

استمر هذا الصراع الروحي بداخل الأمير حتى ولادة ابنه الوحيد "راهولا"، الذي وُلد عندما كان الأمير في التاسعة والعشرين. أدى هذا إلى وصول الأحداث إلى ذروتها، حيث قرر الأمير أن يغادر القصر، آملاً أن يجد في حياة الرهينة المستجديّة الخلاص من هذه الأزمة. غادر الأمير القصر برفقة سائق العربية "شانداكا"، وحصانه المفضل بياض الثلج "كانثكا".

معاناة الأمير لم تنته، ودائماً ما وسوست إليه الشياطين أن "من الأفضل لك العودة إلى القلعة، وسوف يكون العالم كله ملكك". ولكن رده عليهم كان بأنه لم يكن يريد امتلاك العالم. فقام بحلق شعر رأسه، ووجّه خطاه ناحية الجنوب حاملاً في يده وعاء للتسول.

أولاً، زار الأمير الناسك "باجافا"، وشاهد ممارساته التقشفية. بعد ذلك، ذهب إلى "أرادا كالما" و"أودراكا رامبوترا" ليتعلم طرقهم في الوصول إلى التنوير عن طريق التأمل، ولكن بعد تطبيقه لهذه الممارسات لبعض الوقت، أصبح مقتنعاً أنها لن تقوده إلى التنوير. في النهاية، ذهب إلى أرض "ماجدا" ومارس حياة الزهد والتقشف في غابة "أورفيلفا" على ضفاف نهر "نايرنجانا"، الذي يتدفق من قرية "جايا".

كانت طرق الأمير في تطبيق هذه الممارسات صارمة بشكل لا يصدق. كان دائماً ما يحفز نفسه بهذه الفكرة "لا يوجد زاهد في

شاكاياموني بوذا

الماضي، ولا في الحاضر، ولا في المستقبل، طبق، أو سوف يطبق هذه الممارسات بجدية واستحقاقية أكثر مني".

وبالرغم من كل ذلك لم يتمكن الأمير من إدراك هدفه بعد. بعد أن أمضى ست سنوات في الغابة، قرر التخلي عن تعاليم التنكشف والزهد. ذهب الأمير ليستحم في النهر، وتقبّل وعاء من الحليب من يدي "سوجاتا"، امرأة عانس تعيش بالقرية المجاورة. صدم رفقاء الأمير الخمسة الذين عاشوا معه خلال السنوات الست لتتشفه عندما علموا بأن الأمير قبل الحليب من يدي هذه العانس، وظنوا أنه حطّ من شأنه ومن نفسه فتركوه.

وبذلك ترك الأمير وحيداً. كان ما يزال يشعر بالضعف، ولكنه قرر أن يدخل في مرحلة تأمل أخرى مخاطراً بحياته قائلاً لنفسه "قد ينفذ الدم، قد يتأكل اللحم وتنهار العظام، ولكني أبداً لن أغير هذا المكان إلى أن أتوصل إلى التنوير". كان صراعاً حاداً وغير مسبوق بالنسبة له. أصاب الأمير الاكتئاب، وامتلاً ذهنه بالأفكار المحيرة، وتدلّت الظلال المظلمة حول روحه، وحاصرته همزات الشياطين. لكنه رفضها جميعاً واحدةً تلو الأخرى. كان هذا النضال شاقاً بالتأكيد، فأضعف جسده، وتساقط لحم بدنه، وتشققت عظامه.

ببزوغ نجم الصباح في السماء الغربية، انتهى هذا الصراع الروحي بداخل الأمير وأصبح ذهنه صافياً. أخيراً وجد الأمير

شاكيا موني بوذا

الطريق إلى التنوير. كان ذلك في الثامن من ديسمبر، عندها أصبح الأمير بوذا في سن الخامسة والثلاثين.

ومنذ ذلك الوقت عُرفَ الأمير بأسماء مختلفة: -عرفه البعض ببوذا، المستنير الكامل، ثأجاتا، والبعض الآخر عرفوه باسم شاكيوما، ناسك قبيلة شاكيا، وأطلق آخرون عليه اسم "المكرم من قبل العالم".

ذهب أولاً إلى ميرجدافا في فارانساى حيث يوجد رفاقؤه الخمسة الذين عاشوا معه في سنوات تقشفه الست. في البداية كانوا يتجنبونه، ولكن بعدما تحدثوا إليه، آمنوا به وأصبحوا من أتباعه الأوائل. ومن ثم ذهب الأمير إلى قلعة راجارجيها وتمكن من إقناع الملك بيميسارا بمذهبه والذي كان صديقاً قديماً للأمير. من هناك تنقل الأمير في جميع أنحاء البلاد يحيا على الصدقة، ويُعلم الناس تقبل الحياة.

أقبل الناس عليه كما يقبل الظمان على الماء أو الجوعان إلى الطعام. انضم إليه اثنان من تلاميذه وهما ساريبوترا ومادجاليانا وألفان من أتباعهم.

في بداية الأمر، كان والد بوذا الملك "شودهودانا" مازال يعاني من قرار ابنه بمغادرة القصر، فلم يتقبل ما كان يدعو إليه بوذا على التو، لكنه لاحقاً أصبح من تلاميذه المخلصين. لم يقتصر الأمر على الملك، بل كذلك زوجة أبيه "ماهابر اجابتي"، وزوجته الأميرة

شاكاياموني بوذا

"ياشودهارا"، وجميع أفراد قبيلة شاكيا، جميعهم بدأوا في اتباعه. وانضم إليه جموع من البشر من جميع الأنحاء وأصبحوا تابعيه المخلصين.

أخذ بوذا يعظ الناس خمسة وأربعون عاماً، ويحاول إقناعهم باتباع أفكاره كمنهج للحياة. وعندما بلغ الثمانين وهو في فيسالي في طريقه من راجاجريها إلى شرافستي، أصابه المرض وتنبأ أنه بعد ثلاثة أشهر سوف يدخل مرحلة النيرفانا (السعادة القصوى، أو السكينة). ومع ذلك أكمل ترحاله حتى وصل إلى بايا، حيث شعر بوعدة شديدة نتيجة طعام قدمه إليه حدّاد يدعى "شوندا". في نهاية الأمر، تمكن بوذا من الوصول إلى الغاية التي كانت على حدود كوسينجارا بالرغم من تعبته الشديد. أكمل بوذا تعاليمه لتلاميذه وهو مستلقي بين شجرتي سالاضختين حتى لحظاته الأخيرة. بعدما أكمل عمله على أتم وجه كأعظم مُعلّم في العالم، دخل بوذا في سكينة مثالية وكاملة.

بتوجيه من تلميذ بوذا المفضل "أناندا"، تم إحراق جثمان بوذا في كوسينجارا.

طالب سبعة من حكام المناطق المجاورة أن يتم توزيع رفات بوذا بينهم. في بادئ الأمر رفض أهل كوسينجارا وكاد أن يمتد هذا الخلاف إلى حرب بينهم. ولكن أخذاً بنصيحة رجل حكيم يدعى

"دورنا" تم أخذ القرار بتوزيع الرفات بين الدول الثمان، وبذلك انتهت هذه الأزمة. تم إعطاء الرفات والرماد المتبقي لحاكمين آخرين بالإضافة إلى الدول الثمان تكريماً لهما. وبذلك تم بناء عشرة أبراج لتخليد ذكرى بوذا والحفاظ على رفاتهِ وبقايا رماده المقدس.

تعاليم بوذا الأخيرة

لفظ بوذا كلماته الأخيرة لتلاميذه تحت أشجار السالا في كوسينجارا، قائلاً: -

"اجعلوا من أنفسكم ضوءاً تهتدون به، اعتمدوا على أنفسكم، لا تعتمدوا على الآخرين، اهتدوا بتعاليمي واعتمدوا عليها، لا تعتمدوا على أية تعاليم أخرى".

فكروا في حال جسديك: فكر في عدم طهارته، واعلم أن ألمه ومتعته كلاهما من أسباب الشقاء، وكيف يمكنك أن تغرق في بحر رغباته؟ فكر في روحك: فكر في عدم دوامها، وكيف يمكن أن تقع في فخ وهم الكبر والأنانية. وأن تعلم بأن ذلك لن ينتهِ إلا بمعاناة حتمية، فكر في جميع المعاني، وفي جوهر كل شيء، هل سيبقى أيٌّ منها ثابت وعلى حاله؟ ألن يتفكروا جميعاً ويتبعثروا عاجلاً أم آجلاً؟ فلا تدع كونيّة المعاناة تتركك وتحيرك، واتبع تعاليمي. حتى بعد

شاكاياموني بوذا

مماتي، سوف تتخلص من الألم. افعل هذا وستكون بالتأكيد أحد تلاميذي.

"يا تلاميذي، عليكم أن تتمسكوا بتعاليمي، ولا تنسوها أبداً. يجب أن تحافظوا عليها دائماً. أمعنوا التفكير فيها، ومارسوا تعاليمها. فبهذا سوف تصلوا إلى السعادة.

الهدف من هذه التعاليم هو أن تتحكم في عقلك وتحافظ عليه من الطمع. وبذلك سوف يصبح عقلك طاهراً نقيّاً وكلماتك مخلصّة. فكر دائماً في فناء هذه الحياة وزوالها، وسوف تتمكن من مقاومة الطمع والغضب، وسوف تتجنب كل الشرور.

إذا وجدت عقلك في حالة ضعف وعلى وشك الوقوع في شركِ الطمع، عليك أن تكبح جماحه، وتسيطر على رغباتك. كن سيد عقلك.

بإمكان عقلك أن يجعل منك بوذا، أو أن يجعل منك وحشاً. فإذا ضلّ الطريق الصحيح أصبح الإنسان شيطاناً، وإذا سلك الطريق الصحيح، أصبح بوذا. لذا عليك أن تسيطر على عقلك ولا تدعه يحميد عن الطريق الصحيح".

شاكاياموني بوذا

لقد اكتسبتم التعاليم التي جئتم بها عن طريق اتباعي لطريقتي الخاصة. عليكم باتباع هذه التعاليم وأن تتوافقوا مع الروح الذي تحت عليها هذه التعاليم في كل الأوقات.

إذا أهملتم هذه التعاليم، فهذا يعني أنكم لم تعرفوني قط، وأنكم بعيدون عني، حتى إذا كنتم بقربي. ولكن إذا تقبلتم هذه التعاليم، ومارستموها، فبذلك أنتم قرييون مني حتى وإن كنتم بعيدين.

يا تلاميذي، إن النهاية تتقرب، واقترب موعد الفراق، ولكن إياكم والنياح عليّ. لا مفر من تهالك الجسد. وها أنا أريكم بموتي هذا، كيف يتداعى جسدي كالعربة المتهالكة.

ولكن تذكروا دائماً أنه ليس هناك شيء دائم، وتعلم منها فراغ الحياة البشرية، ولا تعتز بأن الرغبة غير المستحقة في أن ما يمكن تغييره يمكن ألا يتغير. شيطان الرغبة الدنيوية يسعى دوماً لإيجاد فرص لخداع العقل بها، لو أفعى سامّة عاشت في حجرتك، وأنت تأمل في أن تنام في سلام وفي اطمئنان فواجب عليك أولاً أن تتخلص منها، يجب عليك أيضاً كسر روابط المشاعر الدنيوية

وأن تتخيمهم بعيداً، كما تفعل الأفعى يجب عليك أن تحمي عقلك بصورة إيجابية

شاكاياموني بوذا

يا أتباعي... لقد حانت ساعتني، ولكن لا تنسوا أن الموت وحده هو نهاية للجسد المادي. الجسد قد خلق من آباء ويتم تغذيته بالطعام، وبالضبط هناك شينان ضروريان وحتميان ولا مفرّ منهما، المرض والموت.

ولكن بوذا الحقيقي ليس مجرد جسد إنسان أنه التنوير. إن الجسد زائل، ولكن حكمة التنوير سوف تظل دائماً موجودة.

من رأى جسدي المجرد، فهو بكل صدق لم يران، ومن تقبل تعاليمي وطريقة ممارساتي، سيكون هو من راني فعلاً حتى بعد مماتي.

يجب أن يكون كتاب دهارما هو مُعلّمكم. اتبعوا تعاليم دهارما وستكون حقيقةً بالنسبة لكم، حيث أن خلال الـ 45 سنة الأخيرة لم أحجب أي شيء من تعاليمي حيث لا يوجد أي سرية في تعاليمي، ولا معنى مخبئاً، فكل شيء يمكن تعليمه مفتوحاً وبطريقة واضحة. يا أتباعي الأعزاء، هذه هي النهاية في لحظة يمكن أن أعود إلى نيرفانا وهذه تعاليمي.

الفصل الثاني

بوذا الخالد

عطفه ووعوده

(1) إن روح بوذا هي من المحبة والرحمة الكبيرة. فالمحبة الكبيرة هي الروح التي يمكن أن تساعد كل الناس بأي وسيلة أو بجميع الوسائل. والرحمة الكبيرة هي الروح التي تحتك لأن تشعر بمرض الناس وتعاني لمعاناتهم.

قال بوذا "إن معاناتكم هي معاناتي وسعادتكم هي سعادتني" تماماً كما تحب الأم طفلها دائماً، فهو لا ينسى أبداً تلك الروح حتى ولو للحظة، لأنها الطبيعة البوذية وهي أن تكون رحيماً.

وتحفز روح بوذا وفقاً لاحتياجات الناس، فإيمان المرء هو رد فعل على روحه، ويرشده إلى النور، فمثلما تدرك الأم أمومتها بحبها لطفلها، كرد فعل لهذا الحب، تشعر بالأمان والطمأنينة.

إلا أن الناس لا تفهم هذه الروح البوذية ويستمررون في معاناتهم من الأوهام والرغبات التي تنشأ بسبب جهلهم، فهم يعانون من أفعالهم الخاصة المتركمة من خلال مشاعرهم الدنيوية ويهيمنون على وجوههم بين جبال الوهم مع عبء أعمالهم الشريرة الثقيل.

بوذا الخالد

(2) لا تعتقد أن رحمة بوذا هي للحياة الحالية فقط، بل هي تعبير عن مظاهر الرحمة الأبدية لبوذا الخالد الذي كان معاصراً منذ وقت غير محدد، عندما كان الجنس البشري في ضلال بسبب الجهل.

وتبدو حياة بوذا الخالد أمام الناس في أكثر الأشكال ودية وتجلب لهم أحكم الأساليب لراحتهم.

ولد "شاكاياموني بوذا" أميراً بين أقرباءه شاكيا، تاركاً الراحة في موطنه ليعيش حياة الزهد. من خلال ممارسة التأمل الصامت، فاهتدى إلى التنوير. فهو الذي درّس لتابعيه الدهارما "تعاليم" وطبقها أخيراً من خلال وفاته الدنيوية.

العمل بالبوذية أزلّي كما أن جهل الإنسان أيضاً أزلّي كعمق جهل بلا قاع. لذلك رحمة بوذا ليس لها حدود.

عندما قرر بوذا الانعزال عن الحياة الدنيوية، قدم أربعة وعود كبيرة:

(أ) إنقاذ جميع البشر. (ب) نبذ جميع الرغبات الدنيوية.
(ج) معرفة كل التعاليم. (د) تحقيق التنوير الكامل. هذه الوعود كانت هي مظاهر المودة والرحمة التي أسست الطبيعة البوذية.

(3) كانت أولى التعاليم لنفسه هو تجنب خطيئة قتل كائن حي،
فتمنى أن يعرف جميع الناس نعمة العمر الطويل.

ودرّب بوذا نفسه على تجنب خطيئة السرقة، وتمنى أن يحظى جميع
البشر بما يحتاجونه.

ودرّب بوذا نفسه على تجنب ارتكاب الزنا، وتمنى أن يعرف جميع
البشر نعمة نقاء الروح وعدم المعاناة من الرغبات التي لا تُشبع.

كان هدف بوذا هو المثالية، فدرّب نفسه على البقاء خالياً من أي
خداع، وتمنى أن يعرف جميع البشر راحة البال التي سيحظون بها
عند قول الحقيقة.

ودرّب نفسه على تجنب ازدواج القول، وتمنى أن يعرف جميع
البشر متعة الزمالة.

ودرّب نفسه على تجنب الإساءة إلى الآخرين، وتمنى للجميع أن
يحظون بذهن صافٍ بفضل العيش في سلام مع الآخرين.

وأمسك نفسه عن اللغو، ثم تمنى أن يعرف الجميع نعمة التفاهم
العاطفي.

بوذا الخالد

ولأن بوذا يهدف إلى المثالية، درّب نفسه على الخلو من الطمع،
وبتصرفه الفاضل تمنى أن يعرف جميع البشر السكينة التي
سيجدونها مع هذا التحرر.

ودرّب نفسه على تجنب الغضب وتمنى أن يحب جميع البشر بعضهم
البعض.

ودرّب نفسه على تجنب الجهل، وتمنى أن يفهم جميع الناس وأن لا
يتجاهلوا قانون السببية.

وهكذا شملت رحمة بوذا كل الناس، والمبدأ الثابت عنده هو
سعادتهم. فهو يحب الناس كما يحب الآباء أطفالهم ويتمنى أكبر النعم
لهم، وهي أن يكونوا قادرين على عبور ما وراء هذا المحيط، محيط
الميلاد والفناء.

خلاص وإغاثة بوذا لنا

(1) من الصعب جداً على الكلمات التي يتحدث بها
بوذا من الجانب الآخر للتتوير الوصول إلى أناسٍ
ما زالوا يكافحون عالم الوهم، لذا يعود بوذا إلى
هذا العالم بنفسه ويستخدم أساليبه للخلاص.

يقول بوذا "الآن سأضرب لكم مثال: كان في أحد الأزمان ثري أشعلت النيران بيته. وكان الرجل بعيداً عن منزله وعندما عاد، وجد أن أطفاله كانوا منتهيين جداً للعبة، ولم يلاحظوا الحريق الذي كان بداخل المنزل. فصرخ الأب – أخرجوا من المنزل يا أطفال! أسرعوا! ولكن الأطفال لم يلتفتوا إليه".

وصرخ الأب الحريص مرة أخرى:

– يا أطفال، لدي بعض الألعاب الجميلة هنا، أخرجوا من المنزل وخذوها! واستجابوا الأبناء إلى صرخته هذه المرة فركض الأطفال إلى خارج المنزل المحترق".

فهذا العالم هو منزل محترق. والناس غير مدركين أن هذا المنزل به حريق، وهم في خطر التعرض للحرق أو الوفاة لذلك من رحمة بوذا ابتكاره وسائل لإنقاذهم.

(2) وقال بوذا: "سأضرب لك مثال آخر. ذات مرة

ترك الابن الوحيد لرجل ثري منزله وسقط في براثن الفقر المدقع.

عندما سافر الأب بعيداً عن الوطن بحثاً عن ابنه الغائب، قام بكل ما في وسعه لإيجاد ابنه ولكن دون جدوى.

بوذا الخالد

وبعد عدة عقود، تحول ابنه الآن إلى بائس يتجول بالقرب من المكان الذي كان يعيش فيه والده.

وتعرف الأب بسرعة إلى ابنه وأرسل خَدَمَهُ لإحضار البائس إلى المنزل الذي كان مصدوماً من المظهر المهيب للقصر. وخاف أن يخدعونه ولن يسمحوا له بالذهاب معهم. فهو لم يدرك أنه كان والده.

وأرسل الأب مرة أخرى خدمه ليعرضوا عليه بعض المال ليصبح خادماً في بيت سيدهم الغني. فقبل الابن العرض ورجع معهم لبيت أبيه وأصبح خادماً.

وتقرَّب الوالد تدريجياً منه حتى وضعه في موضع المسؤولية عن جميع الممتلكات والكنوز، ولكن لا يزال الابن لم يتعرف على أبيه.

كان الأب مسروراً بإخلاص ابنه له، وعندما اقتربت نهاية حياته، جمع أقاربه وأصدقائه وقال لهم: يا أصدقائي، هذا هو ابني الوحيد، الابن الذي بحثت عنه لسنوات عديدة. من الآن فصاعداً، كل ثروتي وممتلكاتي أصبحت له".

فوجئ الابن باعتراف والده وقال: "لم أعتز فقط على أبي ولكن كل هذه الممتلكات والثروة أصبحت الآن ملكي".

يمثل الرجل الثري في هذا المثال بوذا، والابن الضائع، كل الناس. فرحمة بوذا تشمل كل الناس مع محبة الأب لابنه الوحيد. في هذا الحب يتصور أحكم الطرق للقيادة، التعليم وإثرائهم بكنوز التنوير.

(3) كما يقع المطر على جميع النباتات، كذلك رحمة بوذا تمتد بالمساواة إلى كل الناس. كما تحصل النباتات المختلفة على فوائد خاصة من نفس المطر، كذلك الناس من مختلف الطبائع والظروف لديهم نعم ولكن في أشكال مختلفة.

(4) يحب الوالدين جميع أبنائهم ولكن يعبرون عن حبهم بحنان خاص تجاه طفل مريض.

رحمة بوذا متساوية تجاه جميع الناس ولكن، يعبر عنها برعاية خاصة تجاه من لديهم أعباء أثقل من الشر ويعانون من حمله بسبب جهلهم.

تشرق الشمس في السماء الشرقية ويزول الظلام بعيداً عن العالم دون تحييز أو محاباة تجاه أي منطقة معينة. لذلك رحمة بوذا تشمل جميع الناس، وتشجعهم على إحقاق الحق وتهديهم ضد الشر. وهكذا، فهو يزيل ظلام الجهل ويرشد الناس إلى النور.

بوذا هو أب في حنانه وأم في حبه وطيبته. في جهلهم وعبوديتهم للرجة الدنيوية، تتصرف الناس في كثير من الأحيان بحماسة

بوذا الخالد

مفطرة. بوذا أيضاً متحمس، ولكن من منطلق الرحمة لجميع الناس. إنهم عاجزون دون رحمة بوذا ويجب أن يأخذ طرق الخلاص كأولاده.

بوذا الخالد الأبدى

(1) يعتقد الناس العاديون أن بوذا ولداً أميراً تعلم طريقة التنوير باعتباره متسول، لكن بوذا موجود دائماً في عالم لا يوجد به بداية أو نهاية.

كبوذا الخالد، عرف كل الناس وسائل الراحة وطبقها.

فلا يوجد أي زيف في دهارما الذي آمن به بوذا، لأنه يعلم كل شيء في العالم كما هو، ويعلمهم لكل الناس.

في الواقع، من الصعب جداً فهم العالم كما هو، على الرغم أنه يبدو صحيحاً، لكنه ليس كذلك. وبالرغم من أنه يبدو خاطئاً، إنما هو ليس كذلك. الجهلة لا يمكنهم معرفة الحقيقة التي تهتم العالم.

بوذا وحده يعرف تماماً العالم كما هو ولم يُقل هذا صحيح أو ذلك خطأ، أو طيب أو شرير. فهو ببساطة يصور العالم كما هو.

ما درسه بوذا هو أن: "يجب على جميع الناس زراعة جذور الفضيلة وفقاً لطبيعتهم، أفعالهم، ومعتقداتهم". ويتجاوز هذا التعليم كل تأكيد ونفي لهذا العالم.

(2) بوذا لا يُعَلِّم الكلمات فقط ولكن أيضاً فسّرهما خلال حياته. وبالرغم من أن حياته كانت بلا نهاية، استخدم بوذا وسيلة الموت لإيقاظ الجشعين.

"عندما كان الطبيب بعيداً عن منزله، تناول بعض أبنائه سماً. وعندما عاد الطبيب لاحظ مرضهم وأعدّ الترياق. بعض الأطفال من لم تكن أصابتهم بليغة تقبلوا الدواء وشفوا، ولكن البعض الآخر، كانت أصابتهم بالغة ورفضوا أخذ الدواء.

ويدافع الطبيب من منطلق حبه الأبوي عن أطفاله، ويقوم بطريقة ضغط شديدة ليجبرهم على الشفاء. فيقول لأطفاله: "لا بد أن أذهب بعيداً في رحلة طويلة. وأنا كبير السن ويمكن أن أتوفى في أي يوم. وإذا كنت معكم فيمكنني أن أراكم ولكن إن توفيت ستصبحون أسوأ وأسوأ. وإذا سمعت عن وفاتي أناشدكم أن تأخذوا الترياق وتشفوا من التسمم". ثم ذهب في رحلة طويلة. وبعد فترة، بعث رسولاً لأطفاله ليخبرهم بوفاته.

بوذا الخالد

وتلقى الأطفال الخبر وتأثروا بشدة بفكرة وفاة والدهم وإدراكهم بأنه لم يعد هناك نعمة رعايته لهم. واستجابة لطلبهم مع شعورهم بالأسى والعجز، أخذوا الدواء وتعافوا.

فلا يجب أن يدين الناس خداع هذا الأب الطبيب. بوذا مثل هذا الأب. هو أيضاً يوظف خيال المحيا والممات لينقذ الناس الذين يدورون في عبودية الشهوات.

الفصل الثالث

تكوين بوذا وفضائله

جوانب تكوين بوذا الثلاثة

1) لا تحاول أن تعرف بوذا من خلال شكله أو مواقفه أو اتجاهاته، فلا الشكل ولا المواقف هي بوذا الحقيقي ولكن بوذا الحقيقي هو التنوير أو نفسه، فالطريق الحقيقي لمعرفة بوذا هو أن تدرك مبدأ التنوير.

لو أن شخص ما رأى المميزات الرائعة لبوذا، سيظن بعد ذلك أنه يعرف بوذا بالفعل. لكن هذا هو خطأ العين الجاهلة، فبوذا الحقيقي لا يمكن تجسيده في صورة شكل أو رؤيته من خلال عيون البشر، فلا يستطيع المرء هنا أن يعرف بوذا بوصف لا عيب فيه لمواقفه، وأنه ليس من الممكن وصف مواقفه في كلمات إنسانية.

ولو أننا نتكلم عن شكل بوذا، فبوذا الأبدى ليس له شكلاً محدداً بذاته، ولكن من الممكن توضيح شكله بأي طريقة. ومع ذلك فنحن نوصف اتجاهاته ومواقفه، ولكن بالرغم من ذلك فإن بوذا الحقيقي لم يكن لديه مواقف بعينها محددة ولكن يمكن أن نوضحه أو نظهره بأية طريقة، لذلك، لو أن أحد ما رأى الشكل الحقيقي لبوذا، أو حتى أدرك

تكوين بوذا وفضائله

مواقفه بوضوح ولم يصبح مرتبطاً بهذا الشكل أو صفاته، سوف يكون لهذا الشخص المقدرة على أن يرى ويعرف بوذا.

(2) جسد بوذا هو التنوير، وكونه بلا شكل أو مادة، فهذا لأنه دائماً كذلك. إنه ليس جسداً مادياً تم تغذيته بالطعام، ولكنه جسد خالد أبدي حيث تكوين مادته هي حكمة بوذا. ولذلك، ليس لديه خوف أو علة، فهو لا يتغير أبداً. لذلك، لا يمكن لبوذا أن يختفي طالما التنوير موجود. فهذا التنوير يمثل ضوء الحكمة الذي يوقظ الناس لحياة جديدة ويسخر لهم العيش في عالم بوذا. فمن يدرك ذلك فسيصبح من بني بوذا وسوف يحفظ مبادئ الدهارما وفخر أو شرف تعاليمه، وسوف تمر على الأجيال القادمة، فلا شيء يمكن أن يكون أكثر معجزة وقوة من قوة بوذا.

(3) لدى بوذا ثلاثة أجساد مطوية وهذا يمثل جانب من الجوانب الجوهرية لدارما كايا وهذا جانب من جوانب القوة الكامنة أو سمبوها كايا. وهذا أيضاً جانب من جوانب المظهر أو التجلي أو نيرمانا كايا حيث أن دهارما كايا هي جوهر دهارما وهي جوهر الحقيقة نفسه. وفي هذا الجانب الجوهري فبوذا ليس لديه شكل أو لون. وبما أن بوذا ليس لديه جسد بشكل معين وأنه أتى من العدم ويوجد مكان للتخلص منه، فهو يترفع عن الأشياء الدنيوية وأنه لا يفقد

أي شيء.

لم يكن وجوده لمجرد أنه موجود أمام أعين الناس، كذلك كان لا يقبل أن يختفي لمجرد أن ينسونه الناس، فإنه ليس تحت إكراه معين بأن يظهر عندما يكون الناس سعداء ومرتاحين، أو يختفي غير مكثرئين أو منتبهين. فبوذا تجاوز كل اتجاه تصور الفكر الإنساني، فهية بوذا في كل جانب من هذه الجوانب ملئ كل ركن من أركان الكون، والتي استطاعت أن تصل إلى كل مكان ظلت موجودة فيه، بغض النظر عن إيمان الناس بوجوده أو بعدم وجوده.

(4) سامبوجا كايا والتي تعني طبيعة بوذا. دَمَجَ كلاً من الرحمة والحكمة اللتين مثلتا روحاً بلا صورة، توضح نفسها من خلال رموز المحيا والممات من خلال رموز التعهد أو النذر، وذلك من خلال التدريب وكشف اسمه المقدس ليقود كل الناس إلى الخلاص. ولأن الرحمة والشفقة هما جوهر هذا الجسد، استخدم بوذا كل السُّبُل كي يحرر كل ما لديه استعداداً للتححرر مثل الشعلة عندما تشتعل لا تنطفئ إلى أن ينفذ وقودها. لذا، فإن رحمة بوذا لم تتلثم أو تترنح حتى تخمد شغلة العواطف الدنيوية تماماً مثل الرياح التي تهب محملةً بالأتربة. ولذا فإن شفقة بوذا ورحمته في هذه الهيئة أخذته بعيداً عن المعاناة الإنسانية. أشارت نيرمانا كايا إلى استكمال بوذا للقوة الكامنة. فقد أظهر بوذا نفسه للعالم في

تكوين بوذا وفضائله

هيئة جسدية وعرض نفسه على الناس، وذلك حسب طبيعتهم ومقدرتهم على فهم طبيعة المحيا، ولهذا استعان بوذا بكل الوسائل مثل المرض والموت للتخلي عن هذا العالم وتحقيق التنوير كي يقود الناس. فشكل بوذا في الأصل هو عبارة عن واحد من الدراما كايا ولكن نظراً لاختلاف طبيعة البشر، فإن شكل بوذا كان يظهر بصورة مختلفة بالرغم من أن شكل بوذا كان يختلف حسب رغبات وقدرات وأفعال الناس. فبوذا كان مهتماً فقط بحقيقة دهارما. لذلك، كان لدى بوذا 3 هيئات مطويات في روحه، والغرض منها هو إنقاذ الناس. كان يظهر بوذا في نقائه في كل الظروف ولكن بوذا لم يظهر حتى الآن بالظهور والوضوح لأن بوذا ليس مجرد شكلاً. فالبوذية تملأ كل شيء فتجعل من التنوير هو هيئته. ذلك التنوير الذي ظهر قبل يصبح قادرا على تحقيق وفهم الحقيقة.

ظهور بوذا

- (1) من النادر أن يظهر بوذا في هذا العالم. وإن ظهر بوذا الآن وقام بتحقيق التنوير وقدم مبادئ الدهارما وخدم شبكة الشكوك وأزال إغواء الرغبات من جذورها، وسد ينابيع

الشر دون أي معوقات تمنعه من تحقيق أهدافه عبر العالم، فلن يكون هناك شيء أفضل سوى تقدير واحترام بوذا. فبوذا ظهر في عالم المعاناة لأنه لا يستطيع أن يترك معاناة الناس، لأن كل هدفه هو نشر مبادئ الدهارما وأن ينعم كل الناس بهذه الحقيقة، لأنه من الصعب جداً أن يقدم الدهارما في عالم مليء بالظلم والمعايير الخاطئة.

والعالم الذي يناضل عبثاً في حياة بلا راحة وفي بحرٍ من رغبات لا يمكن إشباعها، تمكّن بوذا من أن يواجه مثل هذه الصعوبات وذلك لحبه العظيم ورحمته

(2) بوذا رجل وصديق طيب لكل الناس، فلو وجد بوذا أي رجل يعاني من العبء الثقيل للمشاعر الدنيوية، يشعره برحمته ويبدأ أن يشارك هذا العبء معه، ولو وجد رجل آخر يعاني من الضلال والوهم، أزال عنه مثل هذا الوهم، وذلك من خلال نقاء ضوء حكمته.

مثل العجل الذي يتمتع بحياته مع أمه. لذا فكل من أنصت إلى تعاليم بوذا، أصبح غير قادر على أن يتركها، لأن تعاليمه جلبت له السعادة.

تكوين بوذا وفضائله

(3) عندما يذهب القمر يقول الناس أن القمر اختفى، وعندما يظهر القمر مرة أخرى يقولون حين ذلك أن القمر قد ظهر ولكن في الحقيقة القمر لا يذهب ولا يختفي، ولكنه يتألق باستمرار في السماء فبوذا بالضبط مثل القمر فهو بذلك لا يظهر ولا يختفي وإنما يفعل فقط ذلك بدافع حبه للناس. الناس يسمون مرحلة القمر الأولى مرحلة البدر، ومرحلة أخرى يسمونها بالهلال، ولكن في الحقيقة القمر مستدير دائماً، لا يزيد ولا يقل، فبوذا تماماً مثل القمر في عيون البشر، يختلف في مظهره، ولكنه في الحقيقة لا يتغير، فالقمر يظهر في كل مكان على مدينة مزدحمة، أو حتى قرية نائمة، أو جبل، أو نهر ولمن ينظر في أعماق البركة وفي إبريق الماء، وفي قطرة الندى التي تسقط على أوراق الشجر، فلو مشى المرء مئات الأميال، سوف يذهب القمر معه، ولذا يبدو للناس أن القمر يتغير ولكنه لا يتغير، فبوذا مثل القمر في أتباع الناس لهذه الكلمة في كل الظروف المتغيرة حيث توضح أشكال ومظاهر مختلفة ولكنه في جوهره لا يتغير.

(4) حقيقة ظهور بوذا أو اختفائه يمكن تفسيرها من خلال مبدأ السببية عندما يكون السبب والشرط مناسبين. فبوذا يظهر

عندما تكون الأسباب والشروط غير موالية بصرف النظر عن ظهور أو اختفاء بوذا. ستظل البوذية دائماً هي نفسها معترفةً بهذه المبادئ والتي يجب أن تبقى مع المرء حتى طريق التنوير وتحقيق الحكمة التامة وغير المزعجة بواسطة التغيرات الواضحة في صورة بوذا في حالة أو ظرف العالم أو حتى في تقلبات التفكير الإنساني والتي تشرح أن بوذا ليس بجسد مادي ولكنه تنوير أو تثقيف. فالجسد يمكن أن يُعتقد أنه وعاء، لو امتلئ هذا الوعاء بالتنوير سوف يكون اسمه بوذا. لذلك، لو رأى أي شخص الجسد المادي لبوذا وبكى على اختفائه، فلن يرى بوذا الحقيقي وفي الحقيقة، تجد الطبيعة الحقيقية لكل الأشياء، حيث تتجاوز التمييز في الظهور أو الاختفاء، الذهاب والإياب، الخير والشر، فكلها أشياء مادية ومتجانسة تماماً، وهذا النوع من التمييز الناتج عن الحكم الخاطئ لمن ينظرون إلى تلك الظاهرة. فالشكل الحقيقي لبوذا لا يظهر ولا يختفي.

فضيلة بوذا

حاز بوذا على إجلال واحترام العالم من خلال خمس فضائل وهم: السلوك الممتاز، وجهة النظر الممتازة، الحكمة التامة، القدرة الفائقة

تكوين بوذا وفضائله

على الوعظ، القدرة على قيادة الناس لممارسة تعاليمه بالإضافة إلى ثمان فضائل أخرى، والتي مكنت بوذا من أن يضفي بركاته وسعاده على الناس وقدرته أيضاً على أن يأتي بمنافع فورية في العالم خلال ممارسة تعاليمه والقدرة على أن يحكم على الأشياء بطريقة صحيحة بين الخير والشر، الصواب والخطأ، والقدرة على أن يقود الناس للتنوير من خلال تعاليم الطريق الصحيح والقدرة على أن يقود كل الناس بطريقة مساوية والقدرة على أن يتجنب الفخر والعزة، والقدرة على فعل ما يقول والقدرة على أن يقول ما يفعل والقيام بذلك للوفاء بكل عهوده من قلبه الرحيم، وعلى الرغم من التأمل، كان يحتفظ بوذا بروح هادئة وسلمية بشعاع من الرحمة، والرأفة، والسعادة وحتى رابطة الجأش فكان يتعامل بالتساوي مع جميع الناس وينظف عقولهم من التلوث، ويضفي عليهم نوع من السعادة في روح صلابة تامة. فبوذا يعتبر هو الأم والأب لعالم الناس لمدة 16 شهر وبعد ولادة الطفل. كان الأب والأم يتكلمتا معه بكلمات طفولية وسرعان ما بدأوا أن يعلموه كيف يتكلم كما لو كان بالغاً. فبوذا الأول بدأ يعتني بالناس وبعد ذلك تركهم ليعتنوا بأنفسهم.

ولأول مرة، بدأ أن يجلب الأشياء لتميرها طبقاً لرغباتهم، وبعد ذلك يجلب لهم الملاذ الآمن والسلمي. ما أوعظ به بوذا في لغته، أن الناس يتلقوا ويستوعبوا لغتهم كما لو كان الغرض منها حصراً بالنسبة لهم. فعقل وتفكير بوذا كان يتجاوز الفكر الإنساني والذي لا يمكن أن يكون واضحاً من خلال الكلمات، ولكن يمكن أن يعطي إشارات

ولمحات من خلال أمثلة نهر الغانج والذي كان يثار بسبب عبور الخيول والأفيال حيث ينزعج من حركات الأسماك والسلاحف، ولكن النهر كان يتدفق ببقاء وغير عائق بمثل هذه الأشياء الصغيرة في الحجم أو التافهة. فبوذا مثل النهر العظيم، تسبح فيه الاسماك والسلاحف في مجرى تعاليمه وأعماقه، وتدفع ضد التيار ولكن من دون جدوى. بوذا دهارما تتدفق ببقاء وغير عائق فحكمة بوذا هنا كونها تامة وكاملة حيث تبقى بعيداً عن التطرف والتحامل والتعصب وتحفظ بوسطيتها الكامنة وراء كل الكلمات التي توصف، ولأنه كان عميق الحكمة، فكان يمكنه معرفة كل الأفكار والمشاعر لدى الناس ويستطيع إدراك كل شيء في العالم في التوّ واللحظة مثلما تنعكس نجوم السماء في البحر الهادئ. لذلك فإن أفكار الناس ومشاعرهم وظروفهم كانت تنعكس في أعماق حكمة بوذا. وهذا هو سبب تسمية بوذا بالمستنير تماماً وكُلِّي العِلْم "العارف بكل شيء" فحكمة بوذا كانت تنعش العقول القاحلة أو الجافة من الناس، والتي كانت أيضاً تنير العالم وتعلمهم أهمية حياتهم بالأسباب والآثار والظهور والخفاء وبالفعل وبدون أية مساعدة من حكمة بوذا، كيف سيكون شكل العالم والذي تغيّر مفهومه تماماً عند الناس، فبوذا لا يظهر دائماً على أنه بوذا، ولكنه في بعض الأحيان يظهر على أنه تجسيد لروح الشر في صورة امرأة، أو إله، أو ملك، أو حتى دولة، وأحياناً يظهر في صورة بيت دعارة أو بيت للقمار. وفي أثناء الوباء كان يظهر في صورة طبيب معالج، وفي حالة الحرب كان يوعظ بالتسامح "الحلم"

تكوين بوذا وفضائله

والرحمة لمعاناة الناس، وللناس التي تؤمن بأن الأشياء باقية، فكان يوعظ بزوال الحياة وعدم التمسك بها، والناس الذين يغمرهم الفخر والأنانية والانغماس في الملذات الدنيوية، كان يوعظ فيهم التواضع والتضحية بالنفس ويظهر لهم حقيقة العالم في إظهار في جميع الشئون والمناسبات. فالجوهر النقي للدار ما كايا هي الطبيعة المطلقة لبوذا. لذلك، كانت شفقة ورأفة بوذا اللتان تدفقتا من الدهار ما كايا بحياة أبدية ليس لها نهاية وأضواء لا حدود لها جاءت بالخلاص للجميع، فالعالم مثل البيت المحترق الذي تدمر كلياً وتم إعادة بنائه. فالناس أصبحوا مُربكين بظلام جهلهم وفقدان عقولهم بالغضب والاستياء والغيرة والتعصب والمشاعر الدنيوية وهم بالضبط مثل الصغار الذين هم بحاجة إلى أم ترعاهم. فكل شخص يجب أن يعتمد على رأفة ورحمة بوذا، فهو أب لكل أتباعه، فكل من اتبعه طريقه فهم من بني بوذا، وهو بدوره أهم وأفضل قديس من القديسين. فالعالم هو عبارة عن شعلة من نار الوهن والبلاء حيث المعاناة في كل مكان، ولكن الناس المنهمكين في البحث دون جدوى في الملذات الدنيوية، هم ليسوا بحكماء للدرجة الكافية لإدراك ذلك. فبوذا رأى أن مثل هذا العالم من الضلال هو حقاً كالمنزل المحترق، لذا فهو حوّل وجهته منه واتجه إلى ملاذ آمن وسلمي في الغابة الهادئة. وبعيداً عن شفقته ورحمته العظيمتين، قال لنا: إن هذا العالم من التغير والمعاناة ينتمي إليّ، وأن كل هؤلاء الجهلاء والغافلين هم أبنائي، وأنا المتكفل الوحيد بحمايتهم من الضلال والتعاسة والبؤس. فبوذا -الملك الأعظم

تكوين بوذا وفضائله

لدارما -يستطيع أن يوعظ الناس كما يشاء. فقد ظهر في هذا العالم كي ينعم الناس وأن يخلصهم من المعاناة بوعظهم بالدهارما، ولكن قلوب الناس سيطر عليها الطمع والجشع مما جعلهم غافلين.

لكن من يسمعون تعاليمه وحياتهم يملئها الضلال والوهم والبؤس، لن يستطيعون تخليص أنفسهم معتمدين فقط على حكمة بوذا، لأن من خلال إيمانهم وإخلاصهم، يمكنهم أن يدخلوا في تعاليمي. على المرء منا أن ينصت إلى تعاليم بوذا ويضعها في إطار التجربة والممارسة.